الدكتور حامد عبده الهوال

التعليم والتعلم في القرآن الكريم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠١هـ - ١٩٨١م

مكتبة الفلاح - الكويت

ص. ب ٤٨٤٨ - الكويت - شارع بيروت - عمارة الحساوي
مقابل بريد حولي - تلفون ٥٤٧٧٨٤

التعليم والتعلم
في القرآن الكريم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

موضوع التعليم في القرآن له أهمية خاصة. وله جاذبيته عند الباحث وعند الجمهور. وذلك لمكانة القرآن الكريم في نفوسنا.

وبالنسبة لنا، نحن المتخصصين في التربية أو المهتمين بها، فإن الموضوع يمسّ عملنا واهتمامنا بشكل عام. مع اختلاف مجالات التخصص العلمي بيننا، وهذا نفسه يضيف أهمية أخرى.

ولعل هذا، إلى جانب سعة الموضوع وتعدُّد جوانبه، مما يشكّل بعض الصعوبات أمام الباحث.. أرجو ألاّ تحول بيني وبين أن أقدّم شيئاً على قدر ما سمح به الجهد والوقت مع ملاحظة أنني قد تصوّرت الموضوع من طرفين رئيسيين:

الأول - خاص بالتعليم والتعلُّم، كجزء من البحث، وكمدخل إلى نقطة الارتكاز فيه.

الثاني - التعليم والتعلُّم في القرآن، وهو ما ينصبّ عليه

العنوان. وقسمت كلاً منهما إلى فصول أشير إليها في وقتها.

وللأمانة أحب أن أشير إلى أن مصادري في الجزء الأول بعض المراجع التي تيسَّر لي الحصول عليها في التربية وعلم النفس.

أما في الجزء الثاني فإن المصدر الوحيد تقريباً هو القرآن الكريم، وإذا كانت النظرة الذاتية أحياناً تضع صاحبها أمام مسؤوليته وتجعل موقفه دقيقاً. فإنني أرجو الله التوفيق.

المؤلف

الجزء الأوّل

التعليم

من الكلمات القليلة التي تحمل معاني كثيرة قد يصعب تحديدها كلمة التعليم. لأن لها جوانب كثيرة ومتعددة. ومنذ القديم والتعليم يحظى باهتمام كبير وتقوم حوله اختلافات كثيرة في موضوعاته وأهدافه واتجاهاته. أهي إلى تنمية العقل أو الأخلاق؟ هل التعليم من أجل تزويد المتعلمين بالدراسات النافعة أو الدراسات العليا..؟ أو الدراسات التي تنمي الفضيلة؟.

أشار إلى ذلك (أرسطو) منذ ٢٥٠٠ عام في كتابه الأخلاق⁽¹⁾. وقال (مونتان): كلّما توغّلت في هذا البحر وأمعنت فيه اكتشفت جزءاً جديداً من الأرض يغشاه الضباب ويجلله الغمام⁽²⁾. لذلك كانت نظرة العلماء إليه من عدة زوايا بديلاً لتعريفه تعريفاً محدداً.

ولسنا بسبيل استقصاء للآراء التي قيلت في ذلك.

---

(١) الأخلاق، ج٥، الفصل الثالث.

(٢) التعليم بحث تمهيدي، لستر سميث، ترجمة رمزي مفتاح، ج١٣.

ولكننا فقط نحاول أن نلقي ضوءاً أمام الموضوع الذي نبحثه؛ فالتعليم في رأي (جون ستوارت) الفيلسوف الانجليزي في العصر الفيكتوري، يشمل ما نضعه أو يضعه غيرنا للوصول إلى الكمال، ويشمل الآثار غير المباشرة في خلق الفرد وسلوكه وملكاته البشرية، والمؤثرات والعوامل العرضية. وجوهر التعليم عنده هو الثقافة التي يقصد بها كل جيل أن يزوّد الجيل الذي يخلفه، ليجعله على الأقل أهلاً لأن يحتفظ بمستوى الرقي الذي وصل إليه، أو لأن يرتفع به إذا استطاع.

والتعليم الكامل الوافي عند جون ستوارت ملتون هو الذي يؤهل الإنسان ليؤدي ما عليه من المسؤوليات الخاصة والعامة في السلم والحرب بنزاهة ودقّة وخلق رضي.

* * *

استمرارية التعليم:

شملت النظرة إلى التعليم علاقته بالوطن وبالمجتمع وحياته وأهدافه، وكانت لهذه النظرة أصداؤها على علاقة التعليم بالزمن. فبعد أن كان ينظر إليه في إطار المراحل المدرسية فقط والتي كانت تختلف باختلاف طبقات المتعلمين، وذلك في القرن الثامن عشر ومعظم التاسع عشر، أصبح لا يشمل مراحل الدراسة في المدرسة والجامعة وحسب، بل يمتد إلى أبعد من ذلك. فأصبح التعليم عملية مستمرة مدى

الحياة. وأصبح الاهتمام بالمتعلمين منذ ما قبل المدرسة إلى ما بعد الجامعة. . وقد أخذ بذلك قانون التعليم الانجليزي عام ١٩٤٤م. من هنا توجه الاهتمام نحو التعليم وتعليم الكبار، سواء كان ذلك إتماماً واستمراراً لعملية التعليم أو لمن لم ينضموا أصلاً إلى المدرسة.

ومن الذين اهتموا بتعليم ما بعد المدرسة (السير وليام ريتشارد لفنجستون)، الذي يقول: «لقد اقتنعت بعد خمسين عاماً قضيتها في تلقّي العلم أو في تلقينه للطلبة، أنّ أفضل سنّ لمثل هذه الدراسات هي ما بعد الثامنة عشرة، وأفضل منها ما بعد الثلاثين»(١).

ومن الحق أن نشير إلى أن هذه النظرة للتعليم كعملية مستمرة كانت لدى الفلاسفة الاغريق من قبل.

* * *

تأثير المعلم:

شملت النظرة التعريفية للتعليم تأثير المعلم ومسؤولياته، على أساس أن التعليم في جوهره تأثير شخص على شخص آخر، تأثير عقل على عقل أو شخصية على شخصية، أو خلق على خلق، وهذا أول الطريق(٢).

---

(١) نفس المصدر، ص٢٤.

(٢) الفلسفة الحديثة في التعليم عن نفس المصدر.

ومن هنا كان تحوُّل التربية الحديثة إلى التعليم عن طريق نشاط المتعلم نفسه ليمارس التعليم بعقله وشخصيته ويمرّ في التجربة بإرادته ولا يفنى في غمار التأثير.

ومع ذلك تظل مسؤوليات المعلم كبيرة من أهمها:

١ - استثارة النمو التعليمي وتوجيهه بما يحقق خير التلميذ وخير المجتمع.

٢ - وهذا يتطلب منه فهم حالة التلميذ الاجتماعية ومستوى نموه الجسمي والعقلي والروحي. وأن يعرف الخصائص المكونة للشخصية والبيئة.

* * *

التعليم فن:

لذلك يميل الرأي إلى اعتبار التعليم فناً، وإلى أن يستمر دائمًا فناً أكثر مما هو علم(١). يقول وليم جيمس: «إن فن التعليم انبثق ونَمَا وتطور في قائمة الدرس. انبثق من روح الإبتكار، ونَمَا من قدرة الخلق، وتطور من الملاحظة الملموسة المشوبة بالتعاطف والود والفهم البصير»(٢).

ويوجِّه حديثه إلى المعلم: «ينبغي في عملية التعليم أن تثير الاهتمام والشغف في تلميذك بكل بساطة وسهولة بحيث

---

(١) علم النفس التعليمي، جابر عبدالمجيد.

(٢) أحاديث للمعلمين والمتعلمين، وليم جيمس، ترجمة د. محمد العريان، ص١٥.

يتوق إلى ما تريد أن تعلمه إياه فيركز مجهوده فيه ويسحب اهتمامه من كل ما عداه ثم تقدمه له بطريقة سائغة مقبولة شائقة ومؤثرة، تستقر في ذهنه، ويتذكّرها بمناسبتها إلى يوم مماته. . ثم تتبع ذلك بأن تثير فيه حب الاستطلاع النهم الذي يشدّه لمعرفة الخطوات التالية المتعلقة بموضوع درسه والمرتبطة بتركيز اهتمامه وشغفه»⁽¹⁾.

من هذه النظرات إلى المعلم نتبين اهتمامه الشامل بالتعليم وبالمجتمع، وبالتغيير الذي يطرأ عليهما، سواء كان هذا التغيير آلياً ومنطقياً، أو أحدثه التعليم نفسه.

---

(١) نفس المصدر. ص٥٤.

التعلّم

أول ما يتبادر إلى الذهن عند المشتغلين بالتعليم أن التعلُّم هو اكتساب المعارف والمهارات ثم ترجمتها إلى أفعال وسلوك. ويهتم علماء النفس أكثر بالسلوك الناتج عن الخبرة، ولذلك يفضلون تعريف التعلم بأنه «التغيرُّ المطرد في السلوك، الذي يرتبط بالمواقف المتغيرة التي يوجد فيها الفرد، وبمحاولاته المستمرة للاستجابة لها بنجاح»(١).

أساس التعلُّم، إذن، الخبرة والممارسة من جانب المتعلم بالجهد الذاتي وإرادة التعلُّم؛ يقول ميلر ودولارز: «لكي يتعلم إنسان لا بد أن يطلب شيئاً وأن يلاحظ شيئاً وأن يقوم بعمل شيء وأن يحصل على شيء»(٢) بمعنى وجود الهدف والدافع والاستعداد والتدريب.

ويلاحَظ التعلُّم عادة فيما يطرأ على سلوك الإنسان من تحسن أو تغيُّر. وقد قامت عدة أبحاث على سلوك الإنسان

---

(١) علم النفس التعليمي والصحة النفسية. جابر عبد المجيد.

(٢) نفس المصدر. ص٢٤.

وقدراته الحركية والعقلية والتغيرات التي تطرأ عليه لتحديد دوره في التعلُّم، وما يمكن أن يحتاج إليه.

وظهر أن الذكاء والقوى العقلية المختلفة وشخصية المتعلِّم وثيقة الصلة بالتعلُّم، ومن أهم العمليات العقلية اللازمة للتعلم التذكر والارادة. ومن المعروف علمياً أنه لا ذكاء بدون ذاكرة، لأن الذاكرة تعني الانسجام بين الشعور واللاشعور في الإنسان وإن كان الفصل بينهما لا يخلو من المغالطة، لأن العقل وحدة، والعقل الذي يحتفظ بالتجارب والمواد العلمية أو بأكبر كمية منها يعتبر عقلاً عظيمًا وإن كانت هناك عوامل نفسية وظروف تدخل في ذلك.

والارادة هي القوة الأساسية للتعلُّم الجيد وإن كنا نتعلم أحياناً بعض الأشياء بدونها، ولكن حتى هذه ترجع إلى الإرادة العامة الكامنة في الإنسان إرادة الإحاطة بالأشياء أو إرادة التقدم، أو يمكن أن نسميّها: الإرادة المطلقة للتعلُّم.

ولكننا نقصد هنا ما عبَّر عنه الدكتور محمد عبدالعزيز عيد في كتابه **علم النفس التربوي** «عقد العزم على التعلُّم»⁽¹⁾، أو ما يعني به في عبارة تتضح فيها علاقة الإرادة بالتذكر.

ويجب أن يتوافر لدى المتعلِّم إرادة التعلُّم، وأن يقوم بمجهود للتعلم، وأن يبتعد عن التعلُّم الأصم القائم على مجرد

---

(١) في علم النفس التربوي. د. محمد عبدالعزيز عيد. ص٣٨.

التكرار. وأن يحاول أن يجد ويؤكد على مميزات يسهل تذكرها في الدرس(١). وأن يتعرف بنفسه على الوسائل وبعض الأساليب التي تمكّنه من الاحتفاظ بمادة التعلُّم. .

لذلك كانت مسؤولية المعلِّم هنا: أن يعرف تلاميذه وأن يثير فيهم على أُسس علمية ومن وحي الخبرة والتجربة إرادة التعلُّم وأن يعرف أحسن الطرق إلى ذلك. . ويتابع تلاميذه ليعرف مدى نجاحهم في تحقيق نتائج التعلم.

ولا أريد أن أسترسل في عرض جهود العلماء لمساعدة المعلمين والمتعلمين في اكتشاف طرق التدريس الملائمة، والقوانين المؤثرة في عملية التعلُّم؛ لأن لهذا مجاله الخاص.

---

(١) نفس المصدر. ص٣٢٨.

التعليم والتعلم في الفكر الإسلامي

كان ثمرة من ثمار الدعوة القرآنية إلى العلم، (كما سنعرض في الجزء الثاني). . وقد بدأ الاهتمام عند علماء المسلمين بالقرآن الكريم والعلوم الدينية المتصلة به، كالتفسير والحديث، وأصول الفقه والقراءات؛ وبعلوم اللغة والنحو.

وفي العصر العباسي اهتم العلماء بالفلسفة والمنطق والرياضيات والطب والكيمياء(١). وكان للنهضة العلمية الإسلامية في ذلك الوقت تأثير كبير على أوروبا بما فتحت أمامهم من آفاق جديدة. ونقلت إليهم علوم الإغريق والهنود والصينيين.

وقد حَمَل المسلمون في دمشق وبغداد وغرناطة وقرطبة مشعل الثقافة والحضارة عالياً وعملوا على استمرار وتقدُّم

---

(١) تاريخ التربية . . . محمود عبدالرزاق شفشق ومنير عطاالله سليمان. ص١٨٥.

البشرية في الوقت الذي كانت فيه أوروبا في حالة من الركود الذهني والتخلف الثقافي(١).

ومن أشهر علماء المسلمين في الدراسات والآراء المتعلقة بالتعليم: ابن سينا، والفارابي، والغزالي، واخوان الصفا، وابن خلدون. وسنقتصر في بحثنا هنا على التعليم عند الغزالي واخوان الصفا لأنهما يمثّلان ما يشبه أن يكونا اتجاهين رئيسيين في التربية الإسلامية.

أهداف التعليم عند الغزالي (٥٠٥هـ/١١١١م):

هي الكمال الإنساني الذي يحقق رضا الله ويحقق السعادة في الدنيا. إلى جانب أن العلم نفسه يعتبر هدفاً لذاته. وذلك لأن فكرة الكمال المطلق هي التي كانت تشغل ذهن الغزالي، وأعتقد أنها بعض تأثره بالقرآن الكريم.

لذلك كانت العلوم التي تحقق هذه الغاية في المرتبة الأولى من اهتمامه، وهي العلوم الدينية والشرعية. تليها العلوم التي تحقق نفعاً للإنسان في حياته، وهي علوم الطب والحساب والصناعات، والعلوم الثقافية كالأدب والتاريخ.

ورغم نضج الغزالي وسعة أفقه فقد كان يخشى أن

---

(١) نفس المصدر. ص١٨٦.

تجر بعض العلوم إلى الضرر كبعض العلوم الطبيعية والرياضيات، ولذلك فقد أباحها بحذر. وإذا كان موقف الغزالي من هذه العلوم قد يثير في نفوسنا بعض التساؤل فإن ما تعانيه الإنسانية المتقدمة الآن من الأهداف التدميرية للعلم المعاصر خليق بأن يخفف من عنف نظرتنا إلى هذا المفكر الإسلامي العظيم.

صفات المعلم والمتعلم عند الغزالي

أولاً - المعلم: من صفاته:

- الاتزان والصدق مع النفس.
- الشفقة والرحمة مع المتعلم كالأب مع ابنه.
- الصدق والأمانة في الإرشاد.
- اللين والبعد عن القسوة.
- أنّ يمنح التلميذ الحرية في أن يتعلَّم على يديه أو على يد غيره.
- مراعاة استعداد التلميذ العقلي.

ثانياً - المتعلم: من صفاته:

- صفاء نفس المتعلم وطهارتها.
- اعتبار التعلم نوعاً من العبادة(١).
- التواضع مع المعلم ومع العلم.

---

(١) تاريخ التربية. ص٢١٧.

- شمول المعرفة فلا يهمل أي علم نافع محمود والبدء بالأهم.
- الدراسة والتمكن من المادة.

ومن المناسب أن نشير إلى اهتمام الغزالي بالفصل بين التعليم والتعلم وبين السعي للكسب أو للجاه والسلطة.

فقد حذَّر كلاً من المعلم والطالب من أن يكون هذا هدفهم من العلم. ولعله يقصد ألا يكون هذا هو الهدف الوحيد بحيث يصبح العلم مجرد وسيلة لطموحات خارجية عنه.

وفي هذا التحذير ما يحول قدراً كبيراً من رجال التعليم إلى أن يكون العلم وحده هو غايتهم.. ومن هنا يحظى العلم باهتمامات كبيرة ويتقدم. ولعله بذلك يحمل الحكومات والمسؤولين مسؤوليتهم نحو هؤلاء المتفرغين للعلم من غير أن يضطرهم إلى تكييف دراساتهم وأعمالهم من أجل لقمة العيش.

العلم عند اخوان الصفا:

هو «صورة المعلوم في نفس العالم(١).. وهو في وجوده أسمى وألطف وأدعى إلى الوجود المعقول من الأشياء المادية المتحققة في الخارج. وهو موجود بالقوة في نفس المتعلم،

---

(١) حركة الفكر التربوي في الحضارة الإسلامية. (مذكرة) د. محمود جواد رضا ص٢٦/٢٧.

ولا يصير علمًا بالفعل إلا بتأثير المعلم(١) والتعلم عندهم يقع بالروية والفكر».

وهم في هذا يقتربون من الفكر الاغريقي الذي يبني كل شيء على المقابلة بين عالم المثل وعالم المادة. وتتلخص طرق التعلم عندهم في:

الحواس: وهي لمعرفة الأشياء الدنيا.

البرهان: وهو لمعرفة الأعلى والأشرف من الأمور.. وهو ميزان الحكماء به يعرفون الصدق من الكذب والصواب من الخطأ.

التأمل العقلي: لمعرفة ذات النفس الإنسانية وجوهرها.

ولعل من البرهان ما يشبه أن يكون الإلهام والوحي الإلهي العظيم الذي ينظم ويحدد علاقة الإنسان بالله ويشرح ما غمض على الإنسان من دقائق الكون والوجود وقضايا الحياة الرئيسية.

«كان اخوان الصفا تعليميين(٢)» في منهجهم التربوي والاجتماعي ويدركون أن المعلم هو عماد العملية التربوية، ولذلك يرون من صفاته «أن يكون ذكياً جيّد الطبع حسن

---

(١) حركة الفكر التربوي في الحضارة الاسلامية. (مذكرة) د. محمود جواد رضا ص٢٦/٢٧.

(٢) نفس المصدر. ص٢٨.

الخلق صافي الذهن محباً للعلم طالباً للحق غير متعصب لمذهب أو رأي»(١).

ولا غرو فالمعلم عندهم «صانع النفوس»(٢). ومن رأيهم أن الفكر قبل التعلم يكون أشبه بورق نقي أبيض، وبالطبع يلونه ما يكتب فيه، وهذا يعني الاهتمام بالمادة العلمية.

ولذلك ينصحون بالاهتمام بالمتعلمين من الأطفال والشبان قبل أن تتبلور أفكارهم ويصعب تغييرها ويقوم منهجهم التعليمي على الأخذ بالتعليم الشامل الذي ينظر في جميع علوم الموجودات في العالم، واعتبروا ذلك صناعة، وأعتقد انهم بالدرجة الأولى متأثرون بدعوة القرآن إلى العمل فهم عمليون في منهجهم، وبخاصة أنهم يرون أن تتنوع العلوم بحسب قدرات الإنسان المتعلم الاقتصادية والاجتماعية والروحية. والمتعلم في نظر الاخوان كائن اجتماعي يجب أن تعني التربية به في هذا الإطار فتعمل على إصلاحه وتربط بينه وبين إصلاح المجتمع.

النظرية التربوية الإسلامية:

وقد حاول العلماء أن يبلوروا من آراء وأفكار علماء المسلمين ما يمكن اعتباره نظرية إسلامية في التعليم والتربية. واعتبروا هذه النظرية مكونة من ثلاث قضايا:

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر. ص٣٠.

الأولى: أركان التعليم.

الثانية: طريقة التعليم.

الثالثة: مهنة التعليم.

«وسأشير إلى هذه القضايا الثلاث باختصار شديد:

أركان التعليم:

- الاستعداد النفسي للمتعلم ويعني الشعور بالحاجة إلى التعلم والاقبال عليه.
- أن يسلك المتعلم سلوكاً واعياً لمهمته ومراحل هذا السلوك. وان يتحلى بآداب التعلم وهي السؤال والصمت والتفكير والعمل والحفظ في غير تكبر.
- الادراك الصحيح للمادة.
- مراعاة ان تكون المادة في مستوى المتعلم. (الغزالي، واخوان الصفا، وابن جماعة).
- التدرج في اكتساب الخبرة. (اخوان الصفا).
- وضوح لغة التعلم، وتعبيرها عن الفكر في سهولة ويسر.

طريقة التعليم:

وتبنى على ناحيتين رئيسيتين:

الأولى: اهتمام المعلم بتقريب المعرفة إلى ادراك المتعلم بحسب سنه، ومستوى ذكائه وحاجاته،

والتدرج من السهل إلى الصعب، والتكرار المنظم لتحقيق الحفظ.

الثانية: الارتفاع بالتعليم إلى مستوى الخبرة الشخصية عن طريق المطارحة والمناظرة والمحاورة والمناقشة.

التعليم كمهنة:

١ - وسع علماء المسلمين من دائرة التعليم التقني لتعنى بالمتعلم عناية شاملة، وبهذا يتضح فهمهم للتعلم بمعناه التربوي.

٢ - تنبهوا لأهمية فهم المعلم لنفسية الطفل ووسائل تربيته والوصول إلى عقله وروحه. وفي هذا يقول ابن عبدون: «التعليم صناعة تحتاج إلى معرفة ودربة ولطف، فإنه كالرياضة للمهر الصعب الذي يحتاج إلى سياسة ولطف وتأسيس حتى يرتاض ويقبل التعليم...»(١).

---

(١) انظر المصدر السابق ص٤٣.

الجزء الثاني

القرآن الكريم

القرآن كتاب الله تعالى الناطق بالحق ﴿يهدي للتي هي أقوم﴾ (الإسراء: ٩).. وهو المعجزة العقلية الخالدة التي يعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثلها..

وهو الكتاب التعليمي الذي لم يكن هناك كتاب غيره للمسلمين، يتلونه ويتدبرون آياته. وكان كتاب القراءة الوحيد لفترة طويلة، حتى بدأ تدوين الحديث الشريف والذي هو بالدرجة الأولى صورة إنسانية أكثر تفصيلاً واهتماماً بالجزئيات بوصفه مكملاً للقرآن.

﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزّلناه تنزيلا﴾ (الإسراء: ١٠٦). وكان كل مسلم تقريباً يتعلّم منه القراءة والكتابة إلى زمن غير بعيد. والقرآن حتى الآن وإلى الأبد أهم كتاب جامع للمسلم يُقرأ ويُتلى في كل الأوقات، ولكل الأغراض ويحفظ بما يعنى التحقيق المستمر لمفهوم اسمه الكريم وكونه تبياناً لكل شيء ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ (فصِّلت: ٤٢). وهو كتاب الهداية العظيم

الذي صوّر الله تعالى تأثيره على القلوب والمشاعر في قوله ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾ (الحشر: ٢١).

﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ (الزمر: ٢٣).

القرآن والعلم:

١ - أشاد القرآن بالعلم وحثّ عليه وفضله عن كل خير يأتي عن غير طريقه. ﴿يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ (يونس: ٥٧/٥٨).

٢ - وقارن بين العلم وبين الجهل لبيان مدى قيمته ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر: ٩).

٣ - ووصف الجهل بالعمى ليعرف الناس أن النور والإشراق والحق لا طريق لها إلّا العلم ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾ (الرعد: ١٩).. ﴿قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ (الرعد: ١٦).

٤ - وجعل الايمان، وهو الهدف الأول للقرآن، بعيداً عن أفق الجاهل وفوق مستوى إدراكه، فنشر الايمان إذن لا يتحقق إلاّ بالعلم الصحيح. ﴿ولو أننا أنزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلاّ إن يشاء الله، ولكن أكثرهم يجهلون﴾ (الأنعام: ١١١). أي إذا شاء الله لهم الايمان تعلموا أولاً حتى تزول عنهم صفة الجهل.

وفي المقابل فإن العلماء هم الذين يستطيعون أن يعرفوا الحق فيما أنزل.. ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ (سبأ: ٦).

٥ - وقد ضغط القرآن كثيراً على الجهل كنوع من التركيز على الضد لينتقل الضوء تلقائياً إلى الطرف الآخر المقصود - ولتبرز في الصورة السلبيات والايجابيات. فيقول تعالى لمن لا ينتفعون بأمره في شؤون حياتهم ﴿وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلاّ ما اضطررتم إليه، وان كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ (الأنعام: ١١٩).

ويعتبر الكذب نوعاً من الجهل وإن بدا أن بعض الكذابين أذكياء مَهَرة في صنعتهم، لأن هذا ليس من

نوع العلم الذي ينفع الإنسانية بل يعتبر ظلمًا لأنه تجاوز للحق ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾. (الأنعام: ١٤٤).

وكذلك، أو وأدهى من ذلك أن قتل الأولاد ببشاعته وقسوته البالغة لم يكن إلاّ بسبب الجهل: ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾ (الأنعام: ١٤٠).

٦ - بيَّن القرآن أن تقدم الأمم والجماعات لا يكون بغير العلم. ولعل تفضيل الله تعالى لبني اسرائيل في زمنهم، وما يعنيه التفضيل هنا من التقدم المادي والفكري كان السبب فيه اهتمامهم بالعلم وبلاؤهم فيه. يقول الله تعالى ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين، وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين﴾ (الدخان: ٣٢/٣٣). وأظنهم ما زالوا يعرفون ذلك جيداً ويحاولون أن يسيطروا باستخدام العلم وتوجيه مراكزه الرئيسية في العالم لخدمة أغراضهم.

وقصة نبي الله سليمان عليه السلام تبرز في جوهرها أهمية العلم وتمجده بدءاً من قوله تعالى ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علمًا. . .﴾ (النمل: ١٥). إلى

موقفه من ملكة سبأ حين تم نقل عرشها إلى مقر سليمان في طرفة عين بفضل العلم الذي حقق ما لم تستطع الجن، وهي القوة الخارقة ان تحققه: ﴿قال يأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين، قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد طرفك، فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر. . .﴾ (النمل: ٣٨/ ٤٠).

* * *

المعلم في القرآن:

١ - حين أتأمل طبيعة المعلم في القرآن أحمد الله على أنه هيأنا لهذه الرسالة. يكفي المعلمين شرفاً وعزاءً أن الله جعل من نفسه معلمًا للمسلمين حين كان أول اتصال بهم عن طريق الرسالة يحمل الأمر بالعلم والأخذ بأسبابه. فقال مخاطباً رسوله الكريم ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق * إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم﴾ (العلق: ١/ ٤).

٢ - وكان الله أول معلم للإنسانية في الكتب السماوية التي نزلت على الرسل قبل القرآن الكريم. وفي قوله تعالى ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ رمز إلى أنه تعالى هو مصدر

العلم؛ وهو المعلم. كما توحي الآيات من جانب آخر بأن العلم هنا يعني الاستعداد له عند الإنسان، وان أداته تكمن في هذا الاستعداد. ويؤكد القرآن استمرارية تعليم الله للناس بتحسين هذا الاستعداد وتطويره نفسياً وعقلياً. ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ (البقرة: ٢٨٢).

ويحدّد القرآن بذلك طريقة الله تعالى في تعليم خلقه بأن منحهم الاستعداد الفطري وتعهدهم عن طريق الوحي بالكتب أو عن طريق الاتصال الروحي والعقلي وان لم يشعروا بهذا الاتصال.

والتقوى تهذب الروح والعقل وتهيىء الإنسان للاتصال السليم. ومن بعض مفاهيم التقوى تصفية النفس وتهذيب العقل والترقي بهما نحو الكمال.

المعلم الثاني:

هو الرسول صلوات الله عليه وسلامه الذي بعث معلمًا ضمن تكاليف الرسالة ﴿هو الذي بعث في الأمّيين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (الجمعة: ٢).

وفسّر القرآن بعد ذلك ما يعنيه تعالى بقوله منهم

أو لعله تعليل له في قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبين لهم﴾. (ابراهيم: ٤).

يعلم الرسول الناس الكتاب والحكمة ويزكيهم، وبذلك يتهيأون للعلم بجميع صوره الدينية والدنيوية. وعلم الرسول من علم الله لأنه لا ينطق عن الهوى ﴿إن هو إلّا وحي يوحى﴾ (النجم: ٤).

ومن مضامين الحكمة حب التعلم والتفقه والتفكير الصحيح في الكون والحياة.

والتعليم بالآيات والكتاب يعني استمرارية العلم لأن الكتاب باق إلى ما لا نهاية. ويعني التدرج في المادة لأنه لم ينزل دفعة واحدة، إنما كان مرتبطاً بمشكلات وقضايا، وبالتطور الفكري والعلمي للمسلمين.

ولقد تهيأ الرسول ﷺ لهذه المهمة الكبرى باستعداد روحي هائل، وهو نوعياً نفس الاستعداد الإنساني للاتصال بالله مع اختلاف في الدرجة.

والرسول كمعلم، امتداد - مع التجاوز عن بعض أبعاد الكلمة - للمعلم الأكبر، وهو الله تعالى. ويؤيد القرآن هذه الصلة في قوله ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (النساء: ٨٠).

وبالأمر المحدد ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا﴾ (المائدة: ٩٢).

والامر بالطاعة هنا يعني التواضع للعلم والانتفاع به والانفتاح عليه، واتباع ما جاء به الرسول، لأن فبه النفع. والطاعة هنا تدريب روحي وسلوك.

يقول ابن جماعة (٧٣٣هـ/١٣٣٣م) في وصف الرسول المعلم: «كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مفصلاً يفهمه من يسمعه. وكان إذا تكلم كلمة أعادها ثلاثاً لتفهم، وإذا فرغ من مسألة سكت قليلاً حتى يتكلم من في نفسه حاجة للكلام»⁽¹⁾.

والتركيز هنا على أن يفهم المتعلم، وأن تتاح له الفرصة لإبداء الرأي أو الاستيضاح.. وبالرسول يبدأ عهد المعلم الإنسان في الحياة الإسلامية. وقد كلف الرسول بعض أسرى بدر بأن يعلم من أراد منهم أن يفدي نفسه عشرة من المسلمين القراءة والكتابة.

ولعل هذه هي بداية التعليم المرحلي المنظم تنفيذاً للأمر الإلهي بالتعليم في قوله ﴿إقرأ.. اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم﴾ والله يعلم أن الرسول في هذه اللحظة لا يعرف القراءة والكتابة.

---

(١) حركة الفكر التربوي... محمد جواد رضا ص٣٩.

وقد تولى المهمة بعد الرسول العلماء الذين تخرجوا على يديه، ومنهم فقهاء الصحابة والتابعين، وأخذت الحركة التعليمية على أيديهم وعلى أيدي الأجيال التالية من علماء وأدباء وفلاسفة ومتصوفين تنمو وتزدهر على النحو الذي أشرنا إليه في الحديث عن التعليم في الاسلام.

صفات المعلم في القرآن:

١ - أظن أن القرآن جمع صفات المعلم في قوله تعالى مخاطباً نبيه: ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم: ٤). وقد أوضحت الآيات في أكثر من موضع بعض المظاهر لهذا الخلق ﴿وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧). ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ (النمل: ١٢٥). ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ (آل عمران: ١٥٩). ﴿إدفع بالتي هي أحسن﴾ (فصلت: ٣٤).

٢ - الرحمة والحكمة والموعظة الحسنة وسعة الصدر صفات أساسية لازمة للتعليم وخاصة أن المعلم يتعامل مع أعداد من الطلاب مختلفي المواهب والقدرات، ولكل منهم فهمه ودرجة وعيه، ومن أوساط مختلفة قد يجعلهم ذلك مختلفين في طريقة التعبير عن انفعالاتهم بما يحتاج في أحيان كثيرة إلى التعاطف معهم. ومن صفات المعلم في القرآن حسن البيان عن نفسه ﴿ليبين لهم﴾،

والإخلاص والصدق، والتزام الموضوعية ﴿وما ينطق عن الهوى﴾.

٣ - قبول المتعلِّم ومساعدته على حل مشكلاته. نتبين ذلك من موقف الله تعالى من ابراهيم - عليه السلام - حين سأله ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهم جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم ان الله عزيز حكيم﴾ (البقرة: ٢٦).

٤ - تقوى الله:

وفيها كل الخير للمعلم والمتعلم. ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾، ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ (فاطر: ٢٨).

عناصر التربية في القرآن

(أ) العناية بالجسم (أو التربية الجسمية):

اتبع القرآن هنا عدة وسائل ليلفت النظر إلى جسم الإنسان وأهميته، ومنها:

١ - توجيه الإنسان إلى أصل خلقه وتطور هذا الخلق: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحمًا، ثم أنشأناه خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (المؤمنون: ١٢/١٤).

٢ - التوجيه إلى الطعام الطيب وتنويعه مع التنظيم: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً﴾ (الطور: ١٩).. ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ (الأعراف: ٣١).. ﴿وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون﴾ (الطور: ٢٢).. ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم﴾ (المائدة: ٩٦).

٣ - التوجيه نحو القوة والاستعداد، وهو هنا من خلال توجيه الجماعة: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ (الأنفال: ٦).

ولا أظن أن القوة هنا تغفل قوة الجسم واستعداده العضلي والخبرة القائمة على الاستعداد والتدريب، خاصة في ذلك الوقت الذي نزل فيه القرآن وكان اعتماد الجيوش على الأفراد وقوتهم ومرونة أجسامهم بالدرجة الأولى.

٤- بيان قيمة الجسم القوي المنبسط للإثارة وللاهتمام بتكوين الأجسام وجعل اللّه تعالى من عوامل اختيار الملك في السابق قوته الجسدية: ﴿قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان اللّه اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم واللّه يؤتي ملكه من يشاء واللّه واسع عليم﴾ (البقرة: ٢٤٧).

وهذا الاقتران في الآية بين العلم والجسم يؤكد أهمية بذل الجهد في الحصول على كل منهما بدرجة متساوية؛ أو باعتبارهما يكونان معاً الإنسان الكامل.

والواقع أن الإنسان الكامل هو مطلب القرآن الكريم. ولذلك فقد أشار إلى جمال الجسم في موضع آخر باسلوب أقرب إلى السخرية. لأنه كان جمالاً شكلياً دون جمال القلب، وذلك في قوله تعالى عن المشركين في موقف معين: ﴿وإذا

رأيتهم تعجبك أجسامهم، وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة﴾ (المنافقون: ٤).

٥ - عرض مراحل العمر في تواليها من الضعف إلى القوة ثم الارتداد إلى الضعف، تعليم غير مباشر، وتنبيه إلى إدراك الفرق بين القوة والضعف وإلى محاولة إطالةفترة القوة للاستفادة منها أطول وقت ممكن ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة﴾ (الروم: ٥٤).

٦ - وتأكيداً لأهمية تكوين الإنسان الكامل تسعى الآية إلى إحباط الكبرياء والتعالي في الإنسان المزهو فقط بجسمه وقوته دون وعي بمعنى وجوده بين الآخرين ﴿ولا تمشِ في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ (الإسراء: ٣٧). والآية مع هذا لا تنفي الاهتمام بالقوة الجسدية في كونها زينة، وباعثاً على الثقة والسعادة، لا على الغرور والتعالي.

(ب)تدريب العقل:

يهتم المنهج القرآني بتدريب العقل في عملياته المختلفة. فتشير الآيات كثيراً إلى أنها موجّهة إلى مَن يفقهون أو يعقلون أو يتفكرون ﴿قد فصَّلنا الآيات لقوم يفقهون﴾

(الأنعام: ٩٩). . ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الرعد: ٣).

واهتم القرآن بالذاكرة والتذكُّر في آيات كثيرة، وقد سبق الحديث عن أهمية الذاكرة في التعلم: ﴿فذكِّر إن نَفَعَت الذكرى﴾ (الأعلى: ٩٨).. ﴿فذكِّر بالقرآن مَن يخاف وعيد﴾ (سورة ق: ٢٤٥). ﴿فذكِّر إنما أنت مذكر﴾ (الغاشية: ٢١). وهذه الآيات تلخص أهمية الذاكرة وقيمة الاهتمام بها في عمل المعلم.

ويقرن بين سعة العلم وبين حاجته إلى التذكر﴿وسع ربي كل شيء علمًا أفلا تتذكرون﴾ (الذاريات: ٤٩). ويشير إلى علاقة التذكر بالعقل مع التركيز على ذلك في قوله تعالى ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ (الرعد: ١٩).

ويحذر القرآن من النسيان وهو الذاكرة السلبية ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه﴾ (الكهف: ٥٧).

ويعتبر النسيان ظاهرة انحرافية أحياناً ومرتبطة بالشر ﴿وما أَنْسَانِيَه إلّا الشيطان ان أذكره﴾ (الكهف: ٦). ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين﴾ (يوسف: ٤١).

يتضح من ذلك أن القرآن يريد أن يربط الذاكرة

والنسيان وهما من دائرة اللاوعي في الإنسان بدائرة وعيه ليجعل في يده السيطرة عليهما بما يخدم التعليم وأهدافه.

(ج) مراعاة الجانبين المادي والروحي:

يبدو من بعض ما ذكرنا اهتمام القرآن بالإنسان اهتماماً شاملاً لعنصريه المادي والروحي. والهدف من ذلك، كما هو واضح، تحقيق التوازن للإنسان في طريقه نحو الكمال ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين﴾ (سورة ص: ٧١/٧٤).

سجود الملائكة للإنسان إذن لا يكون إلّا بعد إكمال العنصرين فيه، وهو يعني الإقرار بالعظَمة والكمال لهذا الكائن الجديد الذي يملك سر المادة والروح لأول مرة في تاريخ الكون، ولعل تمرد إبليس وعناده وبقاءه مع الإنسان في رحلة الحياة يعني أن مهمة الإنسان قد تحددت منذ البدء. وهي انه مطالب دائمًا بأن يتعهد روحانيته بالسمو. وان عليه أن يشبع حاجاته المادية في طريق السمو الروحي.. والآيات التالية توضح تصوير القرآن لهذه الحاجات وموقفه منها:

- ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث

ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾ (آل عمران: ١٤).

- ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق. قل هي للذين آمنوا﴾ (الأعراف: ٣٢).

- ﴿ولا تنسَ نصيبك من الدنيا. وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ (القصص: ٧٧).

ويتضح حرص القرآن على أن يعقب على كل ما يشبع الجانب المادي بما يدخل في إشباع الجانب الروحي وفي نفس الآية.

هذا إلى أن آيات كثيرة تعمد إلى تغذية الجانب الروحي خاصة عن طريق لفت انتباه الإنسان إلى الطبيعة وجمالها وإلى عظمة الله من حوله كما تتجلى في الكائنات وتسير كثيراً منها بحكمة وروعة.

وكثير منها يدرك الإنسان انها لا تملك من القوة والوعي ما تستطيع بهما أن تستقل بنفسها في هذا الوجود العريض ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلاّ الرحمن﴾ (الملك: ١٩).

- ﴿ولو ان ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾ (لقمان: ٢٧).

وكلمة اللّٰه آياته وخلقه المستمر، ومظاهر حكمته وعظمته التي تراها في كل شيء.

أساليب التعليم في القرآن:

تتنوع أساليب القرآن في التعليم تقديراً لاختلاف طبيعة البشر ولاختلاف المواقف التعليمية من إنسان إلى آخر، ومن وقت إلى وقت، ومن موضوع لموضوع. وهذا التنوع يكسب عملية التعليم حيوية كبيرة. وهو في الواقع خاصية بارزة وفريدة يتمتع بها القرآن الكريم.

ويمكن أن أشير إلى أن من أساليب القرآن ما يلي:

١ - **التنبيه**: أو العرض المباشر حين يحتاج الموضوع إلى التلاقي المفتوح وسرعة الوعي بالأمور أو ما يدخل في الأوليات والأساسيات كالأمر بعبادة أو الإرشاد إلى سلوك معين أو النهي.

والأمثلة كثيرة:

- ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ (البقرة: ٢٣٨).
- ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ (النحل: ١٢٥).
- ﴿ولا تبذر تبذيراً﴾ (الإسراء: ٢٦).

- ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم. . .) (النساء: ٢٣).

وأسلوب العرض المباشر يفيد في تعليم أصول القيادة، وهو أسلوب إيجابي ناجح في تحقيق الاتصال السريع، وهو الأسلوب الأمثل في المحاضرات العلمية والجامعية، والخطب السياسية والرسائل وكثير من لغة التواصل والتخاطب بين الكبار.

٢ - **ضرب الأمثال بالصورة**، لتدريب الخيال وتنمية القدرات الفنية، وهو كثير في القرآن:

- ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل. . .﴾ (الروم: ٥٨).

﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (آل عمران: ١١٧).

- ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة. الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة، زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور﴾ (النور: ٧٥).

- ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت لَبَيْت العنكبوت لو

كانوا يعلمون * إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم. وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ (العنكبوت: ٤١/٤٣).

الواضح هنا أن الإشارة تقصد ما ذكر من تمثيل من اتخذوا أولياءهم من غير الله بالعنكبوت تتخذ بيتاً وتظن أنه منيع يحميها من الزمن، وهي بذلك لا تعلم مدى ضعفه ووهنه، وكذلك الولي من دون الله ضعيف لا يستطيع أن يمنع نفسه فكيف يستطيع أن يمنع غيره. فالذي اتخذ ولياً من دون الله شأنه من التفاهة شأن العنكبوت وعمل كليهما ضائع لا جدوى من ورائه.

فالإدراك الفني لهذه الصورة، وأمثالها كثير في القرآن، لا يتهيأ لغير العالمين وخاصة بأسرار التركيب اللغوي. ومن المهم أن نشير إلى أن الصورة في القرآن فوق تأثيرها على الذوق والخيال وإثارتها للمواهب الأدبية وللفكر فهي أشبه بوسيلة تعليمية ناجحة في تقريب الموضوعات العقلية إلى الإنسان عن طريق عرضها بأسلوب حسي.

٣ - **القصة**: والقصص القرآني توجيه مبكر إلى التنويع في الفنون الأدبية. وإلى أن يستخدم التعليم الأدب الفني: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ (يوسف: ٣).

يمكن أن يتعلم الإنسان من القصة في القرآن أسلوب السرد الفني والحوار والتركيز من خلالهما على المغزى الأخلاقي. وان يتعلم استخراج الرمز من وراء السطور ومما حول المعنى الحرفي للنص بما يربي في الإنسان حواس ذات ذبذبة عالية تفوق قدرات الحواس الخمس المعروفة.

والتكرار في أسلوب القصة القرآنية وفي القرآن بصفة عامة نوع من عرض النماذج الفنية للعبارة الأدبية. بغرض التأكيد على الحوادث الرئيسية في القصة، وللإمتاع النفسي والذوقي. وهو وسيلة تعليمية ناجحة للتركيز وربط المعلومات والمواقف بعضها ببعض. وهو منهج علمي يساعد على فهم المعلومات والأحداث ووعيها وإمكانية تذكرها بسرعة وسهولة، ويصل بالإنسان المثابر إلى نوع من توحيد معارفه بشكل مركز في قمة الحافظة الدائمة، وفي مراكز السيطرة على السلوك.

إلى جانب ذلك فإن القصة تضيف إلى المعارف التاريخية إمكانية الإحساس بالعلاقات الإنسانية والتفاعل العميق معها.

٤ - وأعتقد أن من أهم خصائص الأسلوب القرآني في التعليم رقي اللغة بألفاظها ومعانيها وتعبيراتها التي تصل إلى درجة عالية من الشاعرية وموسيقيتها العذبة التي تجعل من ترتيل القرآن أنشودة لها فعل السحر في القلب والعقل معاً

كأن القرآن عن طريق هذه الخاصية اللغوية والإعجاز البياني يسعى إلى ترقية الذوق الإنساني ورفع مستوى التعبير باللغة، وتدريب الناحية الفنية والجمالية في الإنسان، إلى جانب قوى الفهم والتصور والانتباه.

التعليم بالحرمان:

وهو في الواقع أسلوب عملي في تكوين الإنسان الكامل، الذي يستطيع أن يضبط نفسه ويتحكم في رغباته. فالتعليم بالحرمان يحقق:

- تدريب الإرادة؛
- دفع الضرر المتوقع؛
- البحث عن بدائل لتعويض الإنسان عما حرم منه؛

وقد اهتم القرآن بذلك كثيراً في آيات منها الأمر الصريح في قوله ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ (الأنعام: ١٥١).

هذا الحرمان يفيد في الاهتمام بالبديل، وهو البحث عن الزوجة الصالحة والسكن إليها والعناية بأمرها لتكوين بيت سعيد ومجتمع منظم.

وتحريم الخمر قد يدفع إلى البحث عن وسائل للمتعة

الروحية، كالعبادة، والموسيقى، والفنون والتصوف. . . ولعل اقتران الحلال بالحرام يعطي هذه الدلالة في قوله تعالى:

﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ (البقرة: ٢٧٥).

﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾ (الأعراف: ١٥٧).

والواقع أن الأوامر والنواهي في القرآن كلها تؤدي مهمة التعليم والتدريب في الإطار العملي والروحي.

ومن المفيد للمتعلم أن يلتزم بترك ما حرَّم الله فوق انه أمر يجب أن يتبع، وقد يكون من المفيد أن نعلمه هذا الحرمان كمنهج ذاتي يستخدمه أحياناً ليقوي إرادته على الامتناع عن بعض الرغبات ويتعلم الصبر وقوة الاحتمال.

التعلم في القرآن:

أبدأ مرة أخرى بما بدأ به الله تعالى، في تعريف الإنسان بالعلم، وتعريفه بأنه المعلم الأول، لأنه أيضاً بدء التوجيه بالتعلم.

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * إقرأ وربك الاكرم * الذي علَّم بالقلم﴾.

- فيها دعوة إلى التعلُّم. .
- وفيها بيان لأساسيات التعلم، وهي:

أولاً: * القراءة كوسيلة اساسية.

* والقلم ويعنى الكتابة، الاساس الثاني.

* يتصل بهما قوى حركية وقوى الفهم والادراك والملاحظة البصرية والسمعية. ويعتبر نموها اساسياً في عملية التعلم.

ثانياً: * وضع القرآن المتعلم أمام مسؤوليته مع الجهد التعليمي الذي يقدم له: ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه، ومن عمي فعليها..﴾ (الأنعام: ١٠٤).

* والمقابلة هنا بين البصر وبين العمى فيها من الإثارة ما يقوم مقام الدافع.

ثالثاً: الحث على التأمل:

(أ) في الكون:

- ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها﴾ (سورة ق: ٦).
- ﴿انظروا ماذا في السموات والأرض﴾ (يونس: ١٠١).
- ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾ (الأنعام: ٩٩).

* وفيها دعوة واضحة إلى العلوم الكونية في إطار ربطها بالالهيات. أي توجيه الاهتمام إلى الفرعين من العلوم.

(ب) في التاريخ:

﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ (الروم: ٩). وفيها توجيه إلى علوم الإنسان، التاريخ والأدب وكل ما أنتجه الإنسان من ثقافات وصناعات.

والتأمل بهذا المستوى من العناية التي وجهت إليه في آيات كثيرة. يقصد به أن يكون عادة ثابتة عند المتعلم. وتكوين العادات الإيجابية من أهم واجبات التعليم.

والتأمل عنصر أساسي من عناصر تربية الروح والعقل في الإنسان.

(ج) في النفس:

﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾. (الذاريات: ٢١). وهذا توجيه إلى معرفة النفس.

رابعاً:

وليس هناك من عذر يمكن أن يحول بين الإنسان وبين مسؤوليته نحو التعلم.. حتى في وقت الجهاد وإن كان الوقت يتطلب التصرف في هذه المسؤولية التعليمية أو التعلمية بما يتفق مع مصلحة الجماعة. فيكون الاختيار في توقيت التعلم وفيمن يقوم به من أفراد الجيش ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ (التوبة: ١٢٢).

والآية تبين ارتباط التعليم بمسؤولية التعلم على النحو الذي يلائم المصلحة العامة، وفي الوقت الذي لا يكون الأمر متعلقاً بتعلم الإنسان كفرد.

خامساً: التعلم وتغيير السلوك:

لا يقف القرآن عند حدود المعلومات، فقد رأينا الحرص على تحويل الجهود النظرية والعقلية إلى عادة.. حتى الجانب الروحي بين العبد وربه وما يتصل بالعبادات نرى من وسائل تعلمه تحويله من نطاق العلاقات الروحية المجردة أو الصامتة إلى عادات وسلوك.

ويمكن ان نضيف إلى التأمل هنا الصلاة والصيام والحج.

والقرآن في الواقع يجعل هدفه الرئيسي من التعلم تغيير السلوك الإنساني، ويجب ان يظهر أثر التعلم على فكر الإنسان وخلقه وسلوكه الاجتماعي والشخصي. وقد حرص القرآن على أن يذكر المتعلم بأن التغيير مسؤوليته هو:

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد: ١١).

سادساً: التغيير إلى الاحسن:

ويزين له ان يكون التغير إلى أحسن، وذلك بالتحذير من مجرد التغيير أو من التغيير إلى أسوأ.

﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وان الله سميع عليم﴾ (الأنفال: ٥٣).

سابعاً: أهمية الحواس:

يقول الله تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل * أولئك هم الغافلون﴾ (الأعراف: ١٧٩).

هل هناك بيان لأهمية التعاون بين قوى الإنسان المعنوية والحسية وأثره في تحقيق الخير له أقوى من هذا البيان.؟ إننا نعرف أن أهم حواس الإنسان في الحصول على أكبر كمية من المدركات هما حاستا البصر والسمع على الترتيب. إذا فقدت كل منهما وظيفتها فقد القلب وهو موطن الإدراك والتأثر بما يدرك وظيفته أيضاً. وعمل هذه الاجهزة الثلاثة يحمي الإنسان من الضياع. ومن ان يكون وقوداً للشر بجميع صوره في الدنيا والآخرة. وفي هذا توجيه قرآني رفيع إلى الاهتمام بهذه الحواس وإلى تغذيتها بالمواد الصالحة لها، وإلى تدريبها التدريب المناسب. وبدونها لا يكون التعلم ولا تكون النجاة.

ثامناً: الإرادة والتعلم:

في كثير من الآيات يتضح الاهتمام بدور الإرادة في

التعلم. وارادة الإنسان واضحة في القرآن الكريم تؤكد مسؤوليته في التعليم والتغير:

- ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا﴾ (الاسراء: ١٩).

- ﴿إن اريد الا الاصلاح ما استطعت﴾ (هود: ٨٨).

- ﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها﴾ (آل عمران: ١٤٥). فنتائج التعلم مرتبطة بارادته غالباً لأننا ينبغي أن نضع في الاعتبار إرادة الآخرين، وإرادة الله. والصدق مع الإرادة من أقوى العوامل في نجاحها. وكذلك ارتباطها بالفكر الصحيح الذي يحظى بثقة المتعلم وإيمانه.

لذلك كانت السخرية من الإرادة الكاذبة. وهي في هذه الحالة إرادة سلبية، أي لا إرادة:

- ﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم * ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً﴾ (النساء: ٦٢).

- ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المسلمين، وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفنّ إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ (التوبة: ١٠٧).

ويمكن أن نتصور المتعلمين بالنسبة لإرادة التعلم فريقين: فريق عقد العزم على التعلم وزاده العزم ثقة بنفسه وبمادته فأقبل عليها في شغف؛ والآخر لسقم في وجدانه أو تفكيره لا يملك هذه الارادة وان رغب في وجودها. . كيف يكون التعلم؟

﴿وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً، فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون أَوَلا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون * وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ (التوبة: ١٢٤/١٢٧).

وما أشبه الطلاب في قاعة الدرس بالناس عندما تنزل اليهم البينات فيقبل عليها من يقبل فترقى بها نفسه ويزداد وعيه واستعداده أو أن ينصرف لأن إرادته سلبية فيزداد على الأيام بعداً وعسراً في التعليم. وقد يجني عليه الفشل.

وقد عني القرآن بالعمل وقرنه كثيراً بالايمان ليؤكد الجانب النظري والعملي في حياة الإنسان، والعمل في حياة الإنسان يمثل جانب الإرادة والتنفيذ، والصلة بين الإيمان والعمل ستكون دائمًا من عمل العقل، وهذا هو الثالوث

العظيم في بناء الإنسان الكامل: الوجدان، والعقل، والعمل أو الارادة.

- ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ (التوبة: ١٠٥).
- ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ (الحج: ١٤).
- ﴿وَعَدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم...﴾ (النور: ٥٥).

تاسعاً: الحرية الفكرية:

وقد خلقت إرادة التعلم التي أشاعها القرآن وأكدها حركة فكرية في الحياة الاسلامية ميزت الطابع الحضاري الاسلامي بحرية البحث والرأي. وما تعدد المذاهب الفقهية، ومدارس الفكر الفلسفي والتربوي في الإسلام إلّا مظهر لهذه الحرية في الإرادة العلمية وممارسة واقعية لها.

ولقد أتاحت هذه الحرية للعلم في ظل الحضارة الإسلامية أن يشهد تنوعاً في التخصصات وتبحراً فيها في وقت مبكر من حضارة العالم. مع ما يتمتع به العلماء في نفس الوقت من الثقافة الواسعة التي كانت أحياناً تظهر مؤلفاتهم وكأنها تفتقر إلى المنهجية. ولكنها من الناحية المقابلة صدى للإرادة المطلقة في التعلم.

دروس مستفادة من بعض المواقف التعليمية

(أ) في انصراف بعض أهل الكتاب عن الإسلام حين جاءهم وهم يعملون به، واتباعهم لقرناء السوء في دعاواهم لله:

﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون * واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر * وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون﴾ (البقرة: ١٠١/١٠٢).

تضمنت الآيات بعض النماذج للتعليم الضار الذي حذر الله منه في قوله تعالى: ﴿بئس ما شروا به أنفسهم﴾ وهي:

١ - تعليم السحر، وهو رمز للخداع والضلال واللعب بأفكار الناس وقلب الحقائق.

٢ - التعليم الذي يفرق بين الناس، ويدخل تحته كل ألوان التفريق بين الناس أفراداً أو جماعات بالدسيسة والنميمة. أو بإتقان فنون الإشاعة أو باستخدام الإذاعات السرية للقضاء على وحدة الشعوب والبلاد. مما تلجأ إليه بعض الحكومات لتحقيق مآربها في السيادة والسيطرة. .

٣ - التعليم الخطر على الإنسانية، ومنه فنون الحرب العدوانية والتدمير التي تقضي على البشرية وحضارتها وقيمها.

وهي دعوة ضمنية لاختيار ما ينفع من العلوم ولكن علوم الحرب والتسليح على ضررها الآن أصبحت ضرورية للأمم المستضعفة، حتى تسترد حقها عملاً بالاتجاه القرآني في إعداد القوة. وأعتقد أنه لو تقدمت حركة العلم في سبيل المدنية وخدمة الإنسان والسلام بالدرجة التي بلغها علم التسليح والتصنيع الحربي لغلبنا جانب الخير في العلم على جانب الشر . وهذا في الواقع مسؤولية العلماء والمعلمين والمخططين للتعلم.

٤ - تأثير أصحاب السوء (أو الشلة) على مخالطيهم كما أشرت في العنوان.

٥ - وهناك ملاحظة تتعلق بالجانب الفني للعبادة، فإن الآية الكريمة استخدمت لفظي التعليم والتعلم بفارق بينهما قد يكون موحياً.

* **فالتعليم** كان للسحر، وهو أقرب ما يكون إلى العلم أو الفن بشكل عام.

* **والتعلم** لما يختص بأشياء محددة على قدر ما يفرق بين المرء وزوجه ويضر الناس ولا ينفعهم.

وقد توحي بعض الأمثلة القرآنية بما يناسب ذلك وإن كانت قضية في الواقع تحتاج إلى درس منها:

* علم آدم الأسماء كلها، فيها تعميم واضح.
* يعلمهم الكتاب والحكمة، وفيها كل العلوم تقريباً.
* وعلمك ما لم تكن تعلم، وهو يشمل كل جديد من العلم.
* على أن تعلمن مما علمت رشداً، يقصد الإرشاد، وهو هدف محدد.

موقف موسى عليه السلام مع العبد الصالح:

ويسرنا هنا أن نذكر من كتاب الله العزيز ما يساعدنا على إلقاء الضوء على موقف موسى عليه السلام مع العبد الصالح:

﴿قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على أثارهما قصصاً (٦٤) فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علمًا (٦٥) قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشداً (٦٦) قال إنك لن تستطيع معي صبراً (٦٧) وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا (٦٨) قال ستجدني إن الله صابراً ولا أعصي لك أمرا (٦٩) قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا (٧٠) فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمْراً (٧١) قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا (٧٢) قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا (٧٣) فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكرا (٧٤) قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا (٧٥) قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا (٧٦) فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوها فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا (٧٧) قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا (٧٨) أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا (٧٩) وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً (٨٠) فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما (٨١) وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في

المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا (٨٢) ﴾
(الكهف: ٦٤-٨٢).

(ب) الأدب بين الطالب والمعلم:

يتمثل في حديث موسى إلى الخضر حين أراد أن يتعلم منه، فقد قدم بين يديه الجزاء قائلاً ﴿هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾.

والاتباع هنا يعني الطواعية والاستعداد لتقديم الخدمات والائتمار بأوامر معلمه. وهذا القصد يترجم عن إرادة التعلم في تصميم، كما يترجم عن حسن الطلب والأدب من المتعلم.

وكأن المعلم قد أحس بصعوبة الطلب على المتعلم وصعوبة الأمر على الطالب لأنه يتضمن تعليلات قد لا تكون في مستوى إدراكه ولذلك صارحه قائلاً:

﴿انك لن تستطيع معي صبرا﴾.

وأتبع الحديث ببيان السبب في عدم الاستطاعة حتى لا ينسحب توقعه إلى عجز في نفسه فقال له:

﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ (الكهف: الآيات: ٦٦/٦٨).

ويتبين من ذلك أن المادة الأساسية للتعليم هي

ما كانت في حدود إمكانيات الطالب وتتناسب مع خبراته. وقد صحت توقعات الشيخ، إذ أن موسى عليه السلام لم يصبر فعلاً على الأمر عندما تكررت أمامه أحداث لم يفهمها. واضطر إلى استعجال الإجابة فيها على حيرته فأخل بالشرط الذي كان مضروباً بينهما وانتهت الصحبة لذلك بعد أن أفهمه الشيخ الأسباب ولم يتركه في حيرته.

ونلاحظ أن موسى كان يبدي أسفه في كل مرة يخل فيها بالاتفاق. وكان الأسف يتدرج إلى أشد مع تكرار المخالفة. ففي الأولى قال له:

﴿لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا﴾ (الكهف: ٧٣).

يقر بالنسيان ويعترف بالمخالفة ويرجو استاذه أن يسامحه، وألا يرهقه بالغضب منه. وفي الثانية لم يعد الأمر أمر اعتراف أو نسيان، بل احتاج ذلك في نظره إلى ما يشبه العقاب الذاتي، إذ يقول له فوراً:

﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً﴾.

ويبدو هذا الاعتذار في الحالتين متلائمًا مع اجترائه على الأستاذ، إذ لم يقدم اعتراضه في صورة استفسار، إنما في أسلوب إنكاري شديد، واتهام صريح لأستاذه. فقال له في الأولى: ﴿لقد جئت شيئاً إمْرا﴾.

وفي الثانية قال له: ﴿لقد جئت شيئاً نكرا﴾.

ورغم التفسيرات التي قدمها له الشيخ بعد ذلك فإننا نرى أن الشيخ كان في رده قاسياً وعنيفاً لأن الأمر بين الأستاذ والطالب ينبغي أن يتم بالمرونة والاحتمال وسعة الصدر. ولكن يبدو أن موقف الشيخ فرضته طبيعة الأعمال التي قام بها.

ونرى من تعليلات الشيخ ما يثير الاهتمام بأساليبه التي استخدمها فيها. إذ انها جاءت مختلفة بحسب طبيعة العلة نفسها.

ففي المشهد الأول أحدث الشيخ عيباً بالسفن حتى ينجيها من اغتصاب الملك الطامع، ويبدو أن العيب كان ظاهرياً، ولذلك لم يهدد حياة الراكبين إلاّ من قبيل ما تهيأ لموسى. لذلك فقد نسبه الشيخ لنفسه، ليتحمل مسؤوليته:

﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً﴾ (الكهف: ٧٩).

وفي المشهد الثاني قتل الشيخ غلاماً كافراً خشية أن يرهق والديه بكفره. والقتل عمل بشع في جميع الحالات، إلا بحقه، ولعل حقه هنا كان قد تدوول بين الشيخ وبين من بيدهم أمر الغلام والمسؤولين عن فعل ذلك، فلم يشأ الشيخ

أن يتحمل مسؤوليته وحده، ولم ير أن يسند أمره إلى الله. فيبدو أنه دون بحث ودون تحقيق: نسبة إلى جماعة مجهولة لعلها مما يعنيها الأمر في مثل هذه الحالات ﴿أما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفرا. فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة واقرب رحما﴾ (الكهف: ٨٠/٨١).

والمشهد الثالث: بَنىَ الشيخ جداراً لغلامين يتيمين يوشك أن ينهدم. وكان ذلك حرصاً على أن يحفظ الكنز الذي تحت الجدار إلى أن يكبر الغلامان ويستخرجا كنزهما. هذا العمل كله خير ظاهراً وباطناً، وقد يشعر فاعله بالزهو والغرور مما دفع الشيخ إلى بيان أنه فيه ينفذ إرادة ربه:

﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك، وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾. (الكهف: ٨١-٨٢).

وفي الأيات الكريمة كثير من الملاحظات، منها مسؤولية التعلم، وأهمية التعبير عن النفس بالاسلوب المناسب. ومنها في جانب المعلم إخلاص النصيحة والصدق ومعرفة حدود المتعلم... إلى جانب الكثير مما قد لا يتسع له البحث.

كلمة أخيرة

بعد العرض الذي سبق أرجو أن أقول كلمة أخيرة عن التعليم في القرآن بمعناه العام من غير تفريق بين طرفيه التعليم والتعلم، وقد أمس علاقته بالتربية الحديثة.

١ - شمول التعليم القرآني:

التعليم في القرآن شامل لحياة الإنسان كلها من المهد إلى اللحد وبهذا يتسع مفهومه لكل جوانب التربية. وفوق اهتمامه بمراحل حياة الإنسان كلها فإنه يعالج تطلعاته إلى ما بعد الموت. وهو بذلك يقف وراء تطور التربية الحديثة من تدرجها في الاهتمام بالطفل حتى نهاية المدرسة إلى الإهتمام بتعليم الكبار والتعليم المستمر.

وهو المصدر الاساسي لتفكير التربويين في الشرق العربي والاسلامي وقبولهم لاستمرار التعليم حسب النظريات الحديثة، ويرفض ما يتناقض مع آيات القرآن وتعاليم الدين في ضوء الفهم الحديث الصحيح.

٢ - عالمية التعليم القرآني:

والتعليم في القرآن وضع أساساً للإنسانية عامة. وإذا كانت هناك إشارات نحو الاهتمام بالاقربين ونحو عروبة اللسان القرآني فإنها تعتبر منطلقاً من ناحية. وإشعاراً باهتمام كل بيئة بظروفها الخاصة وحاجتها من ناحية أُخرى.

واعتبار المخاطب القريب ممثلاً لجنس المخاطب ينبغي أن يكون لذاته اعتبار في اطار أن الاهتمام به يعتبر تطبيقاً لمبادىء اساسية عامة على حالات فردية أو اجتماعية أو بيئية.

وهذا في الواقع لا يكون فارقاً نقصد التركيز عليه لذاته بين التعليم في القرآن وبين النظريات التربوية باعتبارها في الاصل نشأت في بيئات مختلفة. وقد يكون اختلافها كبيراً فيما بينها من ناحية وبينها وبين بيئتنا على الخصوص، وهي حتى الآن على ما يبدو أو في الغالب ما زالت بيئات متلقية للنظريات التربوية وما يجد منها.

انما نقصد توجيه الفكر إلى أن في التعليم القرآني اساساً صالحاً لتقييم النظريات التربوية في خطها وفي اهدافها. وانه لا يتعارض مع مستحدثاتها وما تقدمه للحياة من تفصيلات تخدم معظم عمليات التربية وبناء الانسان في حدود ما يوافق الايمان والفضيلة والنفع العام.

٣ - المصطلح اللفظي:

اذا كان القرآن يستخدم كلمات العلم والتعليم بينما

الفكر الحديث يميل إلى مصطلحات التربية، فإنني اعتقد انه لا خلاف في الواقع إلاّ من حيث تاريخ الكلمة في الاستعمال وتطورها من بيئة إلى بيئة ومن عصر إلى عصر ولا ضير اذن من ترجمة كلمات العلم والتعليم في القرآن إلى ما يقابلها من مصطلح التربية ولكن من غير تكلف أو شعور بالنقص، أو ادعاء.

فإن القرآن بعالميته وصلاحيته لكل زمان ومكان لا يعتبر رجعياً إلا إذا خاف عليه المسلمون من التطورات الهائلة اليومية في الفكر العالمي. ولا محل في الواقع لهذا الخوف ولا مبرر له، ما دمنا ننظر إلى القرآن في إطار رسالته الكبرى الشاملة التي لا تجعل التفاصيل والجزئيات وتفريعات المواد والمناهج من اختصاصه.

ولأنه وهو كتاب الله الأسمى لا يفترض منذ البدء انه سيحجر على الفكر ويحرم عليه الانطلاق، ويمنعه من بناء حياة الإنسان في عصوره المختلفة بما يناسب تطوره ويحقق سعادته. فالإنسان في نظر القرآن مخلوق عاقل مفكر مدرك عنده القدرة على العمل والتغيير بل مطالب بهما في كل الظروف، والتعليم القرآني في الحقيقة يحرص على تنمية هذه القوى في الإنسان ليصل عن طريقها إلى الكمال وهو الهدف الاساسي للخلق.

٤ - الأخذ بمبادىء القرآن مع قبول النظريات الحديثة:

من الضروري اذن إلى جانب الأخذ بالمبادىء التربوية

الحديثة - ان نهتدي بمبادىء التعليم في القرآن لأنها مبادىء إنسانية عامة تشعرنا ونحن ندرسها ونطبقها بالسعادة لأن لدينا في كتابنا الرئيسي، وهو سجل حياتنا وهو عقل هذه الأمة العام وغذاؤها الروحي الذي لا ينضب، ما نحافظ به على وجودنا الحقيقي مع قابلية التجديد والتطوير. واحب أن أشير إلى أن هذا الشعور قد بدأ يظهر عند بعض المتخصصين والدارسين في علم النفس والتربية وان كنت لا اتفق معهم فيما فهمت انه هجوم على الافكار الجديدة اللهم إلا فيما يتعارض منها مع الدين وهو قليل يمكن تجاوزه في التطبيق أو المناقشة الموضوعية، فمثلاً يمكن أن يصاحب الأخذ بنظام المدرسة المختلطة نوع من التوجيه والاهتمام بالجوانب الدينية في المدرسة مع الحرص على ان لا يكون هذا الاختلاط مطلقاً وبلا حدود.

ومثال آخر دارت حوله تعليقات في الآونة الأخيرة ويتعلق باجراء التجارب على الحيوان في علم النفس مع الاختلافات الكبيرة بينه وبين الانسان. أستطيع أن أقول أننا يمكن ألّا نرفض بعض هذه التجارب إذا كانت في نظر علماء النفس كما عند غيرهم من علماء التشريح والادوية والحياة مراحل أولى في اجراء التجارب تسمح باجرائها بعد ذلك على الإنسان حتى لا نقامر أو نقامر مبدئياً باجرائها عليه ويمكن أن تعرضه لاضرار أو انتكاسات.

ومع هذا، وان كان من الخير ألّا ندخل في مقارنات بين القرآن وبين علم النفس أو غيره من العلوم لان عناصر هذه المقارنة غير متوفرة أساساً. فإنني اشيد بالآيات القرآنية العظيمة الهادية في مجالات التعليم وأدعو إلى الاسترشاد بها في أبحاث علم النفس والتربية لأنها منذ نزولها تقصد الإنسان وتكوينه، وإذا كان الأمر أمر تجريب فإن النصوص القرآنية روعي فيها ان تكون تطويراً للنصوص الواردة في الكتب السماوية السابقة بعد ان مرت مضامينها على ما يبدو بالتجارب والاختبارات الكافية.

﴿وهذا كتاب مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به. وهم على صلاتهم يحافظون﴾.

(الأنعام: ٩٢)

﴿يأيها الذين أتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً﴾.

(النساء: ٤٧).

الفهرس

الموضوع — الصفحة

المقدمة ٥
الجزء الأول ٧
  التعليم ٩
  التعلم ١٥
  التعلم والتعليم في الفكر الإسلامي ١٩
الجزء الثاني ٢٧
  القرآن الكريم ٢٩
  عناصر التربية في القرآن ٣٩
  دروس مستفادة من بعض المواقف التعليمية ... ٥٨
  كلمة أخيرة ٦٧

طبعَ في دار النفائس ص.ب ٦٣٤٧ - ١١ هاتف ٣٠٢٥٣٨ - بَيروت